تاريخ الاستلام: 2023/07/18م تاريخ القبول: 2023/07/30م تاريخ النشر: 2023/12/15م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن أقسام الفلسفة بجامعة الزاوية
العدد الرابع عشر – السنة الخامسة – ديسمبر/ 2023م

دور التعصُّب القبلي في النظام السياسي

ليلي منصور مفتاح الفار
قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والتربية – جامعة صبراته
الزاوية – ليبيا
EMAIL: lialaelvaf@gmail.com

ملخَّص البحث:

يشكِّل التعصُّب القبلي ظاهرةً ومشكلةً حقيقيةً لكافة المجتمعات بأطيافها وتنوُّعها، وتختلف فيها مسبِّبات المشكلة ومظاهرها و أشكالها بشكل عام، وممَّا يميز التعصُّب كبنية وكشكل اجتماعي في المجتمع، وأنَّه أصبح يتسم بسمة واحدة، ويمتد أثره على تشكيل الهوية لبعض أنماط المجتمع، وأيضًا تأثيره على المفاهيم والقيم والعادات والأعراف الاجتماعية، حيث أصبح التعصُّب القبلي شكلًا من أشكال العنف ورفض الآخر، وتمزيق نسيج العلاقات الاجتماعية في المجتمع.

الكلمات المفتاحية : النظام السياسي، التعصُّب، القبيلة، المجتمع.

The role of tribal fanaticism in the political system

Laila Mansour miftah alfar
Department of Sociology - Faculty of Arts and Education - Sabratha University
Sabratha -Libya
EMAIL: lialaelvaf@gmail.com

ABSTRACT

Tribal fanaticism constitutes a phenomenon and a real problem for all societies in all their spectrums and diversity, and the causes,

manifestations and forms of the problem differ in general. What distinguishes fanaticism as a structure and a social form in society is that it has become characterized by a single characteristic and its impact extends to the formation of the identity of some types of society, as well as its impact on concepts, values, customs and customs. Social, where tribal fanaticism has become a form of violence, rejection of others, and tearing apart the fabric of social relations in society.

Keywords: political system, fanaticism, tribe, society.

مقدمة:

إنَّ قضية التعصُّب القبلي من القضايا الداخلية في المجتمعات، وبخاصة النامية منها، والتي انتشرت في مجتمعاتنا الإسلامية، وزادت حدَّتها في الفترة الأخيرة، وإذ يفرض التعصُّب حضوره الكبير في مختلف تجليات الحياة الاجتماعية والسياسية، وتأتي موجة هذا التعصُّب بلورة لأحداث سياسية واجتماعية بدأت مع الأحداث السياسية الجسام، المتواترة في المجتمع التي أدَّت إلى إيقاظ المشاعر القبلية إلى درجة أصبح التعصُّب اليومي ملمحًا من ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع. ويشهد اليوم مشاعر العصبية تكاثفًا مريبًا بتأثير نسق من العوامل التربوية والاجتماعية والثقافية التي خرجت من سياقها الوطني والإنساني إلى مسارات الانغلاق والتعصُّب. وفي هذا السياق فالتعصُّب بأشكاله المختلفة يشكِّل اليوم واحدًا من أهم التحديات التي تواجه المجتمع، ويشكِّل خطرًا على الوجود والهوية والمجتمع، والتعصُّب يجلب معه العداوة والبغضاء من الآخرين، ويورِّث الاحتقان والانقسام بين الناس، ويتسبَّب في خلق النزاعات والخصومات التي تهدر بدورها الطاقات والإمكانات دون طائل، ويهدِّد نسيج العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، ويشير التعصُّب إلى موقف يجعل الفرد يحكم حكمًا مسبقًا على فئات أخرى من المجتمع، بشكل غير عادل وغير موضوعي، الأمر الذي يجعل وجهة نظرتهم هذه متعنتة ومتحاملة عاطفيًا، وغير قابلة للتغير([1]).

ولقد ثبت خلال السنوات الماضية أنَّه ليس هناك عدو حقيقي لليبيا، يستمر في تدميرها وتخريبها غير التعصُّب والتطرُّق القبلي. وهو وحده من يتحكَّم بمصير هذا البلد ومستقبله. وقد سبَّب التعصُّب القبلي أثرًا اجتماعيًا سلبياً في بنية المجتمع الليبي وعلاقاته

على المستوى العلائقي والاتصالي بين أفراد المجتمع من الناحية الاجتماعية، خصوصًا من النواحي الثقافية والاقتصادية والتنموية، وما ينتج عنه من أثر يعود سلبًا على قيم التماسك المجتمعي. ويوصف التعصُّب بأنَّه شبيه بالعدوى البكتيرية التي تصيب الإنسان حيث تتميَّز العدوى بالسرعة والانتشار، إلا أنَّه عدوى ومرض اجتماعي يصيب جميع أفراد المجتمع بمختلف أنساقهم ونظمهم الثقافية والاجتماعية، وفي ليبيا مدن وقبائل بأسرها يفتك بها داء التعصُّب، سواء كان تعصُّب سياسي أو اجتماعي. وبخاصة في الأعوام الماضية إذ تشهد تحوُّل الناس إلى حشود بشرية تمتلك كل أنواع السلاح، وتحويل المدن والقبائل إلى جماعات متنازعة تحمل الحقد والكراهية لكل من خرج عنها أو اختلف معها.

مشكلة البحث :

تنحصر مشكلة البحث في معرفة اتجاه التعصُّب القبلي، ودوره في النظام السياسي، وكيف تؤثر الجماعات على النظام السياسي، وهل تعكس اتجاهات إيجابية أم سلبية في المجتمع، وبخاصة أنَّ التعصُّب القبلي يشكِّل مشكلةً حقيقةً لكافة المجتمعات بأطيافها وتنوُّعها، وتختلف مسبِّبات المشكلة ومظاهرها. وممَّا يميِّز التعصُّب كبنية وكشكل اجتماعي في المجتمع، وأنَّه أصبح يتسم بسمة واحدة، ويمتد أثره علي تشكيل الهوية لبعض الأنماط في المجتمع. وبهذا ينطلق البحث من التساؤلات ومنها.

ما الدور الذي تلعبه الجماعات المتعصّبة قبلية نحو النظام السياسي؟

وهل للتعصُّب دور إيجابي أم سلبي على الأجسام السياسية؟

أهداف البحث:

- التعرُّف على الأدوار التي تقوم بها الجماعات المتعصِّبة نحو الأنظمة السياسية.
- التعرُّف على الأدوار الإيجابية والسلبية، وما مدى أثرها على المجتمع؟.

أهمية البحث:

تتمثَّل أهمية البحث بأنَّها تتناول قضية مهمة جدًا تتعلَّق بالتركيبة الاجتماعية والأساسية والسلوك العام، وهي التعصُّب القبلي، وتكمن الأهمية في أنَّ دراسة العصبية القبلية يعزِّز فهمنا لظاهرة كان لها تأثير على الواقع السياسي في المجتمع.

- **أسباب اختيار الموضوع :**

- توعية الناس بمخاطر التعصُّب القبلي، وما يندرج عنه من آثار سلبية.

- أنَّ ظاهرة التعصُّب القبلي ودوره الأساسي في المجتمع من المواضيع المهمة، والجديرة بالاهتمام والبحث.

نوع المنهج:

يستخدم المنهج الوصفي التحليلي وهو يهدف إلى وصف وتشخيص المشكلة، والوقوف على جوانبها المختلفة.

مجالات البحث:

-المجال البشري: هم مجموعة من الأفراد الذين لديهم تعصُّب قبلي (جماعة من الذكور).

مصطلحات البحث:

. السياسي: هو تنظيم له صفة الشرعية في حدود مجتمع معيَّن، وتتحدَّد مسئوليات هذا النظام في المحافظة على كيان المجتمع، ولهذا فأنَّه يفرض جزاءات قاسية؛ من أجل تحقيق الأهداف العليا للمجتمع، والمحافظة على نظامه الداخلي، وتنظيم علاقاته الخارجية.

ـ**المجتمع:** يشير مصطلح المجتمع إلى جمع من الناس يشكِّل منطقة جغرافية، ويشتركون في النشاط الاقتصادي والسياسي، والذين يشكِّلون بصفة أساسية وحدة اجتماعية تحكم ذاتيًا ببعض القيم العامة، وخبرة الشعور بالانتماء لبعضهم.([2])

أ. **التعصُّب القبلي:** في اللغة مأخوذ من العصبية، والعصبية: أنْ يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، و من معاني التعصُّب: المحاماة، والمدافعة، وتعصُّبنا له ومعه: نصرناه([3]).

ب . **التعصُّب في الاصطلاح:** لا يتعدى المعني اللغوي كثيراً، حيث يدور حول: الانحياز، والتشدُّد، والقوة، والمساندة والمدافعة، والمحاماة، والنصرة ، والإعانة.

1ـ دور التعصُّب القبلي في النظام السياسي:

أولاً: الفكرة العصبية عند ابن خلدون.

ينطلق ابن خلدون في دراسته للعصبية وبيان الأساس الذي تقوم عليه، والدور الذي تلعبه في الحياة الاجتماعية عمومًا، وحركة التاريخ خصوصًا، من فكرته في (الوازع) الذي جعله ضرورة من ضرورات الاجتماع والتعاون([4]). وأنَّ هذا الوازع في نظر ابن خلدون يربط القبائل البدوية فيما بينها من أجل الملك والقهر والاستيلاء على ملكيات القبائل الأخرى، ولصد الاعتداءات الخارجية، فهي بمثابة الدرع الحصين لهم، وفي الواقع تمثِّل العصبية ظاهرة بدوية صرفة، جوهرها النسب الذي يجمع كافة أعضائه، ويحثهم على الالتحام والوئام والمدافعة عن كرامة وقيم القبيلة وشرفها. فهي عامل موحَّد بين أعضاء القبيلة الواحدة، ومفرِّق بين الأنساب المتباينة في انحدارها الاجتماعي، وأصالتها في المجتمع البدوي([5]). بهذا وقد فهم ابن خلدون العصبية على أنَّها الشوكة الفئوية للجماعة، التي تحمل المعتمد عليها إلى السلطة بالانتصار له، ظالمًا أو مظلومًا. وتدوم السلطة بدوام العصبية الداعمة لها. فابن خلدون لم يحلِّل العصبية لا كمفهوم، ولا كنظام قيم، وقد علَّل ابن خلدون دوام الملك بدوام العصبية، كشوكة ونعرة دم، أي كقوة داعمة لسلطة السلطان، متعاضدة، مناصرة له. فقال: "ولا يصدق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبية، وأهل نسب واحد؛ لأنَّهم بذلك تشتد شوكتهم، ويخشى جانبهم إذ نُعرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم. وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة و النعرة على ذوي أرحامهم وقرباهم موجودة في الطبائع البشرية، و بها يكون التعاضد و التناصر وتعظم رهبة العدو لهم"([6]) .

2- مفهوم العصبية وأنواعها:

شغل موضوع العصبية جلَّ الباحثين، الذين اهتموا بفكر ابن خلدون، إذ حاولوا بكاملهم إيجاد تعريف لها، وتحديد مفهوم دقيق وواضح لهذه الكلمة، التي أصبحت تحمل معان عديدة، وتتباين صورها كلما نظر إليها من زاوية معيَّنة تختلف عن غيرها.

وأنَّ معظم الباحثين في علوم وتاريخ والاجتماع والفلسفة سعوا، أو أنَّ البعض منهم يعتقد بأنَّ العصبية لدى ابن خلدون تشكِّل محورًا رئيسيًا، أو منظومة رئيسية تدور حولها المباحث الاجتماعية والسياسية التي وضعها في نظريته.

أولًا: التعريف اللغوي للعصبية:

العصبية في اللغة: مشتقة من "العصب" وهو الطيء والشدّ. وعصب الشيء يعصبهُ عصبًا: طواه ولواه، وقيل: شدَّه والتعصُّب: المحاماة والمدافعة والعصبة: ولأقارب من جهة الأب، وعصبةُ الرجلُ: أولياؤه الذكورُ من ورثته، سُموا عصبية لأنَّهم عصبوا بنسبة، أي: أحاطوا به فالأب طرف والابن، والعم جانب والأخ جانب، والجمع العصبيات، والعرب تسمّي قربات الرجل: أطوافهُ، وأحاطت به هذه القراباتُ وعصبت بنسبه، سُموا: عصبة، وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به([7]).

يشير الاستعمال العادي للتعصُّب إلى العداء القائم بين الجماعات العنصرية و السلالية داخل المجتمع، دون تحديد ما إذا كانت علاقات العداء تدل على اتجاهات غير مقبولة، أو على أفعال أو اتجاهات غير ودية([8]). وأيضًا يشير إلى الاتجاه السلبي لأفراد ينتمون إلى مجموعة اجتماعية معيَّنة، حيث ينحوا الأفراد المتعصِّبون إلى تحريف وتشويه وإساءة وتفسير، بل وتجاهل الوقائع التي تتعارض مع آرائهم المحدَّدة، ويعرِّف قاموس العلوم الاجتماعية التعصُّب بأنَّه "غلو في التعلُّق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة، بحيث لا يدع مكانًا للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف والاستماتة([9]). وكذلك هو أنْ يدعو الرجل إلى نعرة عصبته، والتألب معهم على أنْ ينالهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد تعصَّبوا عليهم إذ تجمعوا. فتجمعوا على فريق آخر تعصبوا([10]).

والاتجاه التعصُّبي هو استعداد لاستجابة للجماعات الأخرى يتميز بعدم المنطقية، وعدم العدالة وعدم التسامح، ويصاحب الاتجاه التعصُّبي أفكار جامدة، وهي إسناد سمات مفترضة عن جماعة كاملة إلى كل فرد فيها([11]). وليست كلمة عصبية من المصطلحات التي ابتكرها ابن خلدون، فلقد كانت شائعة الاستعمال في اللغة العربية، فالتعصُّب من العصبية، كما تطلق على ذوي القربى اسم العصبية، وهذه الكلمة تمتُّ بصلة الاشتقاق إلى كلمة (العصب) بمعنى الشد والربط وكلمة(العصابة) بمعنى الرابطة، كما أنَّها تسمَّى الخصال والأفعال الناجمة عن ذلك من التعاضد وتشيع اسم العصبية([12]) .. وأيضًا تعني إجمالًا الحث على نصرة الأولياء والأقرباء، ظالمين كانوا أو مظلومين، كما تعني الدعوة إلى المدافعة والمحاماة والمطالبة في سبيل الأقارب والأولياء([13]).

وبالتالي فالمتعصِّب بالمعنى اللغوي العام هو المتصف بالميل الشديد إليه.

2- التعريف الاصطلاحي:

عرَّف ابن خلدون العصبية بأنَّها "هي النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أنْ ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة([14]). ومعنى هذا أنَّ الأصل في العصبية القرابة من النسب، أي تكون في أهل النسب الواضح، وفي من صاهرهم، أو انتسب إليهم بالولاء أو الحلف، ولكن النسب لا قيمة له في العصبية، إلا إذا كان به رابطة مصلحة([15]). وكذلك تعني تعصُّب بعض الناس لبعضهم البعض، ويقوم الفرد بالدفاع بشدة عمَّن يتعصَّب لهم، وهي بمثابة مفهوم الهوية حاليًا. ويرى ابن خلدون أنَّ العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة، وكل أمر يجتمع عليه. وأنَّ الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم البعض، فلا بد أنْ يكون متغلِّبًا عليهم بالعصبية، وإلا لم تتم قدرته على ذلك([16]). ويرى ابن خلدون أنَّ الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك، والملك إنَّما يحصل بالتغلُّب، والتغلُّب إنَّما يكون بالعصبية، فإذا قويت العصبية في قوم حاولوا التغلُّب على العصبيات الأخرى، الأقل منهم قوةً. أي أنَّ الصراع يقود في النهاية إلى انتصار الجماعة المتضامنة المتلاحمة على الجماعة المفكَّكة، وكلما ازداد تضامن العصبية الواحدة ازداد احتمال صراعها مع العصبيات الأخرى، الأقلُّ منها تماسكًا وقوةً([17]).

أنواع العصبية:

أثار اهتمام العلماء الاجتماعيين وعلماء النفس نوعين من التعصُّب. الأول: هو التعصُّب ضد السامية، كما يظهر في مذابح النازية بألمانيا، والنوع الثاني: هو التعصُّب العنصري، ولقد بلور هذان النوعان من التعصُّب في مجتمعات القرن العشرين القوة المدمِّرة للتعصُّب في شؤون الإنسان، بالإضافة إلى بلورتها للصورة المأساوية للتفكير اللامنطقي([18]). وهناك أيضًا عصبية خاصة، وعصبية عامة، فالعصبية التي يجمعها نسب خاص أو قريب تشكِّل خاصة، وأمَّا العصبيات الأكثر اتساعًا والأقل ارتباطًا، والتي يجمعها نسب عام أو بعيد. فهي تشكِّل العصبية العامة([19]).

ويقول ابن خلدون في المقام : "النعرة تقع من أهل النسب الخاص والعام في وقت واحد، غير أنَّها تكون أشد في النسب الخاص"([20])، ومعنى هذا أنَّ قوة العصبية المتولِّدة من

وحدة النسب الخاص تكون أقوى من الالتحام المتأتي من وحدة النسب العام. ولا يعني النسب الخاص عند ابن خلدون القرابة الدموية. وإنَّما هو الانتماء الفعلي إلى جماعة معينة، أي إلى عصبة ما. أي أنْ يكون هذا النسب محفِّزًا للأنفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها، أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، ومن جهة نظر ابن خلدون أنَّ وجود النسب (الخاص والعام) في إطار القبيلة الواحدة لا يقلِّل أو يضعف من قوة عصبيتها. لأنَّ العصبة فيها أساس القوة الجماعية التي تمنح القدرة على المواجهة، سواء أكانت مطالبةً أم دفاعًا؛ لأنَّ كل أفراد القبيلة يتضامنون فيما بينهم للدفاع عن قبيلتهم تجاه القبائل الأخرى وفق مبدأ (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)([21]).

وأنَّ كل حي أو بطن من القبائل، وإنْ كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضًا عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحامًا من النسب العام لهم، مثل عشير واحد، أو أهل بيت واحد، أو أخوة بني أب واحد لا مثل أبناء العم الأقربين أو الأبعدين، فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص، ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام، إلا أنَّها في النسب الخاص أشدُّ لقرب اللحمة، والرياسة فيهم، إنَّما تكون في نصاب واحد منهم، ولا تكون في الكل([22]).

أسباب العصبية القبلية:

العصبية القبلية وخطرها على المجتمع، والتي يفترض معرفة أسبابها لمحاربتها والتخلِّي عنها، وخصوصًا أنَّ العصبية مناقضة للدين والأخلاق، فهي سبب من أسباب انتشار الفتنة بين الناس، وأمَّا من أهم الأسباب التي تؤدي إلى العصبية القبلية، وهي البعد الديني وضعف الوازع الديني الذي جعل الناس ينتمون إلى شيء آخر غير الدين، ووجود الجهل والتخلُّف بين الناس وعدم وعيهم بمدى خطورة العصبية القبلية، التربية غير السليمة للأبناء، وزرع التعصُّب للقبيلة في عقولهم، وتغذيتها بالأقوال والأفعال، والصراع على المناصب المختلفة بين أبناء القبائل، وانغلاق المجتمع القبلي على ذاته وعدم الانفتاح.

ونشير أيضًا إلى جملة من الأسباب وهي:([23])

1- الحاجة إلى تبرير نشاطاتنا ومعتقداتنا بشكل يرضينا ويتلاءم مع اتجاهاتنا.

2- أنَّه قد يستخدم التعصُّب كمظهر من مظاهر ميكانيزمات الدفاع النفسية، كما في حالات الإسقاط والإبدال لحماية الجهاز النفسي، ومفهوم الشخص عن ذاته.
3- أنَّ التعصُّب قد يحدث نتيجة للقوى السياسية والاقتصادية، ففي العديد من بلاد العالم تعمل تكتلات قبلية أو عرقية أو دينية للسيطرة على مقاليد الأمور، أو الثورة مع التعصُّب ضد الأفراد والمجموعات والطوائف الأخرى .

أشكال التعصُّب:

أ. التعصُّب العنصري:

إنَّ العنصرية كمفهوم ظهرت لأول مرة في قاموس لاروس الفرنسي عام 1932م. وهو يشير إلى الاعتقادات والممارسات التي يفترض وجود اختلافات وراثية متأصلة، ومهمة بين المجموعات البشرية المختلفة، وهي اختلافات يمكن قياسها عبر متصل من (الرئيس) إلى (التابع) وهذا يؤدي إلى سياسات اجتماعية واقتصادية ضد مجموعات موضوعة التعصُّب.

ب . التعصُّب الطائفي:

التعصُّب الطائفي هو الرفض، مقرونًا بالانغلاق اللاعقلاني الأناني الانعزالي العدواني، الهاجس على الذات لكل ما هو مخالف للطائفة، وما تمثَّل من خصوصية دينية، ومصالح وحقوق وأيديولوجيا دنيوية سياسية. وإذا انفتح الطائفي أي المحكوم بالعصبية الطائفية على غيره فإنَّما ينفتح انفتاح مصلحة، انفتاح من يقتنص ويفترس. وهذا يتناقض مع الانفتاح الوجداني، أي الانفتاح الإنساني الذي تمليه الحياة الاجتماعية بما هو تواصل وثقة وتكافل واطمئنان وعمل صالح([24]).

ج – التعصُّب الديني:

هو مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين، هو إمَّا بدافع تعصُّب المرء خاصة تجاه المعتقدات الدينية أو التعصُّب ضد الآخر، أو معتقداتهم أو الممارسات. ويمكن أيضًا أنْ يكون جزءًا رسميًا من عقيدة خاصة من الجماعات الدينية. والتعصُّب الديني يمكن أيضًا أنْ يكون ادعاءً بتمايز أصحاب دين من الأديان على أصحاب الديانات الأخرى. التعصُّب

الديني قد يكون دينيًا بحتًا، ولكن يمكن أنْ يكون (غطاء قصة) للدافع السياسي أو الثقافي الكامن. مجرَّد بيان عن جزء من الدين على أنَّ المعتقدات والممارسات الخاصة به تتعارض مع أي معتقدات لا يشكِّل في حد ذاته تعصبًا، وهناك حالات كثيرة عبر التاريخ من تحمُّل ممارسات الأديان الأخرى، التعصُّب الديني بدلًا من ذلك، هو عندما قامت مجموعة (المجتمع أو جماعة دينية) على وجه التحديد برفض تحمُّل الممارسات، والأشخاص أو المعتقدات على أسس دينية([25]). ويتعارض الدين الإسلامي مع مفهوم التعصُّب، فقد وردت العديد من الأحاديث الدينية، التي تنبذ التعصُّب والعصبية، ووردت العديد من الآيات القرآنية التي تحث على التسامح والرحمة والدعوة بالحكمة.

د . التعصُّب القبلي:

هو مصطلح يدل في معناه على الموالاة والانتماء بشكل تام إلى القبيلة أو العائلة ومناصرتها دائمًا، سواء كانت ظالمةً أو مظلومةً، حيث أنَّ العصبية القبلية هي أحد أنواع العصبيات، التي تندرج تحت السلوك الإنساني، وفي بعض الأوقات يتم إطلاق مصطلح العصبية على العصبية المذهبية، أو العصبية المناطقية، وأيضًا العصبية الطائفية، والتعصُّب القبلي له الكثير من التأثيرات السلبية على الفرد والمجتمع، ومع كثرة انتشار أنواع العصبية القبلية تزداد المشكلات لزيادة التأثيرات السلبية.

عانت الجماعات البشرية عبر التاريخ من وجود عصبيات متعدِّدة، وتعني أنَّ الشخص يشعر بانتمائه لشيء يتصرَّف تبعًا لإملاءات ما ينتمي إليه، فيشعر أنَّه منفصل عن أي شيء آخر، ومن أهم سمات التعصُّب القبلي أنَّ الإنسان يرى ما حوله من زاوية واحدة فقط، وتلك الزاوية تجعله يقوم بحساباته تبعًا لمصلحة ما ينتمي إليه على حساب أي شيء آخر.

الآثار الناتجة عن التعصُّب القبلي.

هناك الكثير من الآثار السيئة التي تحدث نتيجة التعصُّب القبلي، سواء على الفرد أو على المجتمع، ولذلك نهى الرسول –صلَى الله عليه وسلَّم– عن ذلك قائلًا: "إياكم والظن، فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا"([26])، ومن تلك الآثار: وقوع الأشخاص في الحقد والغل

والكراهية والتباغض نتيجة لتلك العصبية القبلية. وأيضًا يسهم في إحداث التفكُّك والضعف في جسد الأمة الإسلامية بين أفرادها والجماعات الخاصة بها، وذلك نتيجة مخالفة النصوص الصريحة من القرآن والسنة التي تنهي عن ذلك.

أولًا: مظاهر العصبية:

إنَّ العصبية القبلية الحاضرة ما هي إلا بقايا العصبية الجاهلية، حيث أنَّ مظاهر هذه تكاد لا تختلف عن سابقتها، وأبرز المظاهر هي([27]).

1- الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب: لا يزال كثير من الناس تدور بينهم المفاخرة بالآباء والأجداد، وأصالة أنسابهم أو عظم أحسابهم والتعالي بذلك.
2- الطبقية: ينقسم المجتمع في أنحاء كثيرة منه إلى فئات وطبقات.
3- عدم التكافؤ في النكاح (عدم التزويج) تعد الكفاءة من أكثر مظاهر العصبية القبلية شيوعًا وانتشار الأعراف القبلية والكفاءة في النسب بين الزوجين.
4- المحسوبية: المقصود بها المحاباة والوساطة أي: يحابي الفرد ذويه وجماعته، ويحامي عنهم ويشفع لهم بحق وبغير حق، حتى لو لم يكونوا جديرين بذلك.

ثانيًا: مفهوم القبيلة.

أفرد اللغويون والدارسون المختصون لمصطلح (القبيلة) مصنَّفات وأبوابًا ومحاور فصَّلوا فيها القول، وأبانوا عن اختلافاتها ومعانيها، فابن منظور في لسان العرب يؤكد أنَّ "ابن الكلبي يرى أنَّ الشعب أكبر من القبيلة، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، واشتق الزجَّاج القبائل من قبائل الشجرة، أي أغصانها، ويقال قبائل الطير، أي أصناف وكل صنف منها قبيلة([28]).

وهي جماعة من الناس تنتمي في الغالب إلى نسب واحد، يرجع إلى جد أعلى، أو اسم حلف قبلي يعد بمثابة جد، وتتكوَّن من عدَّة بطون وعشائر، غالبًا ما يسكن أفراد القبيلة إقليمًا مشتركًا، ويعدونه وطناً لهم، ويتحدثون لهجة مميزة، ولهم ثقافة متجانسة أو تضامن مشترك (أي عصبية) ضد العناصر الخارجية على الأقل([29]). وتشير أيضًا إلى الأسرة الممتدة التي تنتج فيها علاقات مصاهرة، وتنتج منها العشيرة، ومن مجموعة العشائر المرتبط بعضها ببعض يتكوَّن البطن، ومن مجموعة البطون تتكوَّن القبيلة. وهي أهم مسارات التفاعل

الاجتماعي، وأنَّ درجة قوتها أو ضعفها تتصل اتصالًا مباشرًا بتراتبية الوحدات (الأسرة النووية، والأسرة الممتدة، والعشيرة، والقبيلة) فأي حالة من حالات التأييد أو الالتزام أو الولاء فأنَّنا نجد أنَّ قوة كل وحدة منها لدى الفرد ترتبط بمدى قربه من هذه الوحدات أو بعده منها. فأقوى درجات الولاء الفرد تكون في أسرته الصغيرة، ثم الممتدة، ثم العشيرة، ومن بعد القبيلة([30]).

القبيلة عند ابن خلدون:

إنَّ أبرز من تحدَّث عن القبيلة في الثقافة العربية هو ابن خلدون، والقبيلة عنده هي البدو، والبدو أقرب إلى الخير كما يقول، وذلك لأنَّهم أقرب إلى الفطرة ومعاشهم، يقوم على الضروري ولم يدخلوا بالكمال والترفيه، وبما أنَّ حياتهم تقوم على الفطرة والضرورة، فهم على عكس الحاضرة التي دخلت في الترف المعاشي. ويصل هذا إلى حد استخدام اللغة ذاتها، فالحضري انتهك حرمة اللغة وآداب الخطاب، ولذا يرى ابن خلدون أنَّ البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر، كما أنَّه يرى البدو أشجع من الحضر([31]). فالقبيلة لا تتحدَّد لدى ابن خلدون بكونها جماعة متفرِّعة عن جدٍّ أول بالضرورة، كما لا تتحدَّد فقط بما يجمع بين أعضائها من روابط الدم، على نحو ما قال بذلك الأنثروبولوجيون الكلاسيكيون. فالنسب في معناه الضيق لا يعدو أنْ يكون معطىً وهميًا بفعل عمليات الاختلاط وعلاقات التجاور، والتعايش التي تصل تفاعلاتها الإيجابية إلى حد الاندماج، لذلك فالاطار الحقيقي للقبيلة عنده هو النسب في معناه الواسع والرمزي([32]).

إنَّ وجود نظام القبائل في ليبيا كان بمنزلة أداة تمكِّنه في ظل تحالفاته الخارجية من الاعتماد على العلاقات الحميمة الداخلية، وأهمها العلاقات القبلية، فالقبيلة ظلت الهيكل الاجتماعي الأكثر قدرة على احتضان الأفراد، والتحكُّم في مساراتهم السياسية في غياب مكوِّنات مدنية أخرى لانتماء كالأحزاب والنقابات والجمعيات([33]). وأنَّ القبيلة تعمل على تنظيم جميع أنشطة الفرد على اختلاف مجالاتها وأشكالها. فإلى جانب الانتماء أمَّنت القبيلة للفرد الحماية لعضو القبيلة، وللمجتمعي بها لسبب من الأسباب، وأمَّنت له الدعم النفسي والدعم الاجتماعي، وحاجاته الرئيسية عند حاجته لها، وأتاحت له فرصة التمتُّع بتلك الراحة النفسية الناتجة عن تمكِّنه من مد يد العون لآخرين على المستويين الفردي والجماعي. ومن

ناحية أخرى تضع القبيلة على الفرد ضغوطات متنوِّعة نتيجة مطالبته بمساعدة أخيه ظالمًا أو مظلومًا، وتعد القبيلة تنظيمًا يكمن في درجة قوة الانتماء([34]).

وعلينا أنْ نميز أو نفرِّق بين القبيلة والقبلية، فالقبيلة كيان اجتماعي حاضر في وجودنا الاجتماعي، أمَّا القبلية فهي عقلية وسلوك تعصُّبي، وسم مجتمعنا منذ مئات السنين، وما يزال والقبلية رابطة موحّدة الغرض، مبنية على التحالف بقدر ما هي مبنية على النسب والقرابة، وتمثِّل عقلية عامة مستمدة من الانتماءات و الولاءات المنغرسة في وجدان الجماعة، وبالتالي فنزعتها نحو إثارة قبليتها هو تعبير عن هويتها، وتمثِّل هذه الخصائص الأساس المادي للتعصُّب القبلي.

هناك صنفين من القبائل:

أ. قبائل خاضعة، منقادة ضعيفة التلاحم، وبالتالي فاقدة العصبية.

بـ قبائل قائدة ومسيطرة وذات عصبة فاعلة في التاريخ، ومحرِّكة للتطور المجتمعي([35]).

الخاتمة:

يشكِّل التعصُّب القبلي ظاهرةً ومشكلةً حقيقيةً لكافة المجتمعات بأطيافها وتنوُّعها، وتختلف فيها مسبِّبات المشكلة ومظاهرها وأشكالها بشكل عام، وممَّا يميِّز التعصُّب كبنية وكشكل اجتماعي في المجتمع، وأنَّه أصبح يتسم بسمة واحدة، ويمتد أثره على تشكيل الهوية لبعض الأنماط في المجتمع، وأيضًا تأثره على المفاهيم والقيم والعادات والأعراف الاجتماعية، حيث أصبح التعصُّب القبلي شكلًا من أشكال العنف، ورفض الآخر وتمزيق النسيج العلاقات الاجتماعية في المجتمع.

وفي كافة الأحوال فالعصبية تدمير للجنس البشري لأسباب خاطئة، ناتجة عن أخطاء معرفية وثقافية وتعليمية، ويعاني الوطن العربي من بعض العصبيات القبلية التي مازالت متواجدة إلى الآن، والتي ترجع إلى الاختلافات بين الطوائف والمذاهب الدينية وأتباعها، وتقوم على فكر طائفي يرى أنَّ أي شيء مختلف عن هذا الفكر، فهو خاطئ وليس صحيح، ويصل هذا الاختلاف في أغلب الأمر إلى التكفير.

هوامش البحث ومصادره:

1ـ شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي: قضايا الأقليات بين العزل والاندماج، ط1، القاهرة، الدار المعرفة اللبنانية، 2003. ص34.

2. الجولاني، 2000، ص8.

3ـ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مج11، 1955–1956. 606/1 . وأيضًا الزبيدي381/3.

4. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، بيروت، 1994. ص163.

5. ـ الجولاني، 2000، ص8.

معن خليل عمر، نقد الاجتماعي (دراسة تحليلية نقدية) دار الآفاق الجديدة،1981، ص13.

6ـ عبد الله العزيز قباني، العصبية: بنية المجتمع العربي، ط1، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1997. ص51، 52.

7ـ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبلية من منظور إسلامي: الناس كلهم بنو آدم، وآدم من تراب، فتاوى كبار العلماء، السعودية، د. ت. د. ط، ص25.

8. عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، ط3، إسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1998. ص64.

9. على أسعد وطفة، مظاهر التعصُّب وتحدياته في العالم العربي: أين معادلة التسامح في التربية العربية– المنظَّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت،2013. ص5.

10. ابن منظور، مصدر سابق، ص2966.

11ـ شعبان الطاهر الأسود، مبادئ علم الاجتماع، ط1، الزاوية، منشورات جامعة الزاوية، 2004، ص47.

12. محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 166.

13ـ بوزياني الدرَّاجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية (على ضوء الفكر الخلدوني)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر،2003، ص23.

14. عبد الرحمن ابن خلدون، 2005، عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، م1، دار البيضاء، 2005. ص207.
15. عمر فرُّوخ، تاريخ الفكر العربي إلي أيام أبن خلدون، ط1، دار العلم للملاين، بيروت، 1972. ص697.
16. مولود زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، ط1، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 2007. ص18.
17. أحمد سالم الأحمر، اتجاهات نظرية معاصرة في التغير الاجتماعي، ط1، طرابلس، منشورات الدار الأكاديمية ، 2009.ص35.
18. جون دكت، ترجمة الدكتور عبد الحميد صفوت، علم النفس الاجتماعي والتعصُّب، ط1، دار الفكر العربي، 2000. ص81.
19. محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص171.
20. ساطح الحصري، دراسات في مقدمة ابن خلدون، طبعة موسَّعة، مكتبة الخاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص335.
21. سالمة محمود محمد عبد القادر، منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة النبوية وتفسيرها، ط1، دار الكتب العالمية، بيروت،2010م.
ص173.
22. عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، ط2، دار الفجر الجديد، 2013، ص174 .
23. رمضان محمد القدافي– عبد السلام الدويبي، علم النفس الاجتماعي، ط1، طرابلس، الجامعة المفتوحة، 1999، ص75.
24. (القباني،1997، 195) .
25. ويكيبيديا.
26. الشيخ محمد العثيمين، صحيح البخاري، شرح كتاب النكاح ، وأيضًا فتح الباري. شرح صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب ما ينهي عن التحاسد والتدابر.
27. الجرسي، مرجع سابق ص48– 110.

28. ابن منظور، مصدر سابق، ص541.
29. ويكيبيديا.
30. مصطفى عمر التير، الثورة الليبية: مساهمة في تحليل جذور الصراع وتداعياته، ط1، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020، ص41.
31. عبد الله محمد الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ط2، بيروت، المركز الثقافي العربي، مغرب ، 2009، ص153.
32. محمد نجيب بو طالب، الظواهر القبلية و الجهوية في المجتمع العربي المعاصر: دراسة مقارنة للثورتين التونسية والليبية، ط1، بيروت، 2012، ص24-23.
33. المرجع السابق، ص 66 .
34. مصطفى عمر التير، أسئلة الحداثة والانتقال الديمقراطي في ليبيا: المهمة العصبة، منتدى المعارف، د.ت، ص64.
35. محمد بو طالب، مرجع سابق، 37.